نظرات
في
كتاب «صفة الغرباء»

للشيخ سلمان العودة

بقلم

صلاح الدين مقبول أحمد

دار النوادر القيمة

مكتبة التوعية الإسلامية

طبعة حديثة ١٤٢٦هـ : ٢٠٠٥م

رقم الإيداع
٨٣٤٣-٢٠٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه فالق الإصباح والنوى ، مرسل الرسل ليحيى من حيّ عن بينة ، ويَهْلِك عن بينةٍ من هلك ، فأرسل رسله مبشرين ومنذرين ليُقيموا الحجة على العباد ، ويرشدونهم لطريق الرشاد ، وشرف اللّه هذه الأمة بحمل رسالة التبليغ فكانت وارثة للأنبياء ، ومضى الرسول - صلى اللّه عليه وسلم - لربه وقد كملت الرسالة ، وأدى الأمانة ، وترك الأمة على المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك ، وسار الصحب الأخيار رضوان الله عليهم حاملين الراية ناشرين الخير والعدل بين الناس ، ودوّي صوت كلمة التوحيد في الدنيا ، وتهاوت العروش ، وسقطت الأصنام ، ودانت الأرض حباً أو كرها لأهل الجزيرة الذين كانوا قبل قبولهم الهداية رعاة إبل وشاة ومستعمرين لفارس والروم ، فإذا بهم اليوم يحطمون جبروت فارس والروم ، فسبحان مغير الأحوال والمتصرف في الكون بما يشاء ﴿ **قُلْ اللهُم مالكَ الملكِ تؤتي الملكَ من تشاءُ وتنزعُ الملكَ ممَّن تشاءُ وتعزُ مَن تشاءُ وتذلُ من تشاءُ بيدكَ الخيرُ إنكَ علَى كل شيء قديرٌ** ﴾ آية ٢٦ آل عمران.

واستمر حال الأمة كما وصفهم المصطفى - صلى الله عليه وسلم - في حديث ابن مسعود (مَا منْ نبي بعثه اللّه في أمةٍ قبلي، إلا كان له من أمتهِ حواريون وأصحاب . يأخذون بسُنته ويقتدون بأمره . ثم إنها تخلُفُ من بعدهم خُلوفٌ . يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون) رواه أحمد بإسناد صحيح ورواه مسلم في صحيحه وزاد في آخره (فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن. ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن . ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن . وليس

وراء ذلك من الإيمان حبة خردل) .

فالفرقة الناجية والطائفة المنصورة وحواريو الأنبياء ، هم السلفيون في كل عصر وقفوا ظاهرين مظهرين دين الله سبحانه وتعالى محيين سنة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - يذبون عن الإسلام تأويل الغالين وانتحال المبطلين ، يحيون ما اندرس من رسم الإسلام ، وهكذا يصلحون ما أفسد الناس وهم على هذا يقابلهم الناس بالإساءة جهلاً وظلماً ولكنها سنة أولي العزم من الرسل.

والسلفيون في كل عصر ومصر يمارسون دورهم في النصح إبراءً للذمة ونصحاً للإمة خوفاً من أن يقعوا ضمن تحذيره سبحانه ﴿ **لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون**﴾ آية ٧٨ - ٧٩ المائدة .

ويأتي رد الشيخ / صلاح الدين مقبول وهو من علماء الدعوة السلفية بالهند. على الأخ الشيخ سلمان العودة ، يأتي هذا الرد في هذا الإطار وهو دائرة التناصح .

وقد يثير البعض قضية كثيرا ما تثار إذا كان المردود عليه ممن لهم شهرة ، وشبهتهم أن الأمة تواجه الهجمة العلمانية والمد النصراني والخطر المحدق بالأمة من جوانب متعددة فهل هذا وقته ؟ والجواب نعم هذا وقته بل هذا هو الأهم الآن فإن النقد الذاتي لأهل الدعوة المهتدين هو الأولى لتقويم الصف ، وهذا هو العمل بحديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه (**الدين النصيحة**) فكمال النصح هو هذا الحوار العلمي الهادئ الذي يرد فيه طلاب العلم بعضهم على بعض ، يحرص الكل منهم أن يكون الحق رائده ، و إنا لنجزم أن من أمراض الصحوة الإسلامية المعاصرة هو هذا النوع من المجاملة التي قد تقصم

الظهر أحيانا ، تربية الشباب على أخلاق هي من أخلاق المنافقين ، وذلك بالثناء والمدح فقط . إنما الصواب والحق أن تجهر بالنقد والتناصح وعلى هذا جرت سنة الأولين ، بل أن الشيخ نفسه عندما رأى محمد الغزالي قد انحرف عن الجادة لم يفعل ما يقوله مداهنو العصر بالقيام بالكتابة السرية للغزالي ، بل رد على العزالي ونشر رده في الآفاق .

والشيخ سلمان الجديد كما سماه مؤلفنا يختلف عن سلمان القديم ، ولنا مجمل ملاحظات على ما يطرحه الأخ سلمان العودة في أشرطته وكتبه خاصة الأخيرة منها .

ولنا وقفات أخرى مع مجموعة من كتبه وأشرطته نبين فيها أنه وفقه الله للخير قد خالف المنهاج السلفي في أمور متعددة وذلك بأن أصل أصولا وقعد قواعد ونسبها لأهل السنة وهم منها براء بل لها مخالفون ولأربابها مخاصمون وعامة هذه القواعد تؤدي إلى تميع مفهوم أهل السنة وتوسيع الدائرة لتضم كثيراً من أصحاب الأهواء خاصة مفكري الجماعات المعاصرة .

وإنا لنرجو من كل منصف إطلع على هذه الوريقات أن ينظر إليها نظرة إخلاص وأن يكون الحق رائده لا الأشخاص .

وإني لأعلم أن بعضاً من الناس ستذهب به الظنون فيقع في أسوئها لكنه يكون بذلك موبقاً نفسه لا معتقها . والله أسأل أن يوفقنا لإحياء سنة المصطفى قولاً وسلوكاً وعملاً .

كتبه
أبو معاوية
عبد الله السبت
مدينة الشارقة العامرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد :

فإنه كان من أحسن أوقاتي حينما اطلعت على كتاب «الشيخ سلمان بن فهد العودة في حوار هادىء مع محمد الغزالي» فوجدت المؤلّف في البحث والمناقشة على مستوى من الدقة وغاية من الهدوء ، مع رجل وقف مؤلّفاته الأخيرة للنيل من المنهج السلفي ، والوقيعة في أهل الحديث ، والهجوم على شباب الصحوة الإسلامية بحيث يذكرهم في كل موضع مكروه ومكان مستهجن ، ويستفزهم بأشنع الأقوال وأبشع الاتهامات...

وما كـان أن يتم هذا الحوار مع هذا الرجل إلا أن يدفع ثمن ذلك من الأعـصـاب ، ولكن المؤلف - حفظه الله - كـان موفقًا في حواره معه من بداية الكتاب إلى نهاية المطاف ، وآثر «النبـرة الهـادئة» على الغضب والانفعـال ، والضـجـيج والصياح[1].

فعلمت من غيرته على الحق وحواره بالتي هي أحسن أنه من طلائع شباب الصحوة الإسلامية إن شاء الله . حسبته كذلك والله حسيبه.

* * *

(١) مع هذا وذاك لا أكـاد أنسى ذلك الملتـقى - ملتـقى أئمـة المساجد بمحافظة الجهراء بالكويت - الذي نظمته جمعية إحياء التراث الإسلامي فرع الجهراء قبل سنتين تقريبًا ، ولما رأى أحد المجتمعين - وهو من مصر - كتاب الشيخ سلمان المذكور همس بسبّه على حذر قائلا:

« يردّ على الداعية الإمام محمد الغزالي » - تغاضينا عن سفاهته مع أنه هذر من دون أن يطلع على محتويات الكتاب .

والشاهد أن العقلية العنيدة لا تتغير واجهتَها باللين أو الشدة.

وإن أنتَ أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمرّدا.

قبل مدة قصيرة اطلعت على كتاب « أهل الحديث هم الطائفة المنصورة الناجية » لأستاذنا الشيخ ربيع بن هادي عمير المدخلي - وهو عبارة عن مؤاخذات على كتاب «صفة الغرباء» للشيخ سلمان بن فهد العودة - فوقفت واجماً عند بعض المقتطفات الغريبة والآراء الشاذّة[1] التي رآها الشيخ سلمان بن فهد العودة ابتغاء الإتيان بالاصطلاح الجديد [2].

ولما طالعت « صفة الغرباء » دهشت من هذا التغير السريع الذي طرأ على منهج مؤلفه خلال هذه السنوات الثلاث الماضية ، ووجدت سلمان « حوار هادىء » ، غير سلمان «صفة الغرباء » لأنه كان في الأول مدافعا عن الأمر الأول . وفي الأخير تراجع عن الخط الذي كان عليه من قبل ، حتى

---

(١) ومن الآراء الغريبة التي اعتنقها أن ثمة تفريقا بين الفرقة الناجية والطائفة المنصورة الوارد ذكرهما في الأحاديث ، وليس المراد بها « أهل الحديث » خلاف ما قاله كبار الأئمة كلّهم أو جلّهم، كما سيأتي .

(٢) راجع « صفة الغرباء » (٧٠ – ٧٣) . وأجاز موقفه من هذا الإستنتاج قائلا : « ينبغي التنبيه إلى تغير المصطلحات بمرور الأزمنة واختلاف مدلولها بين عصر وعصر عند كثير من الناس». (ص١١٨).

بدا يحتاط ـ كما يظهر ـ من ذكر أصحاب الفضل على هذه الأمة المتمثلين في « أهل الحديث » باسمهم المعروف على مدى التأريخ ، ثم تحويل فضلهم إلى غيرهم بالتأويل غير مبال بأقوال ثقات علماء الأمة .

ومن الاستجابات المكشوفة لضغوط الواقع [1] أنه لما ذكرهم هجم عليهم بتصرفات بعضهم ـ حتى سود زهاء أربع صفحات من كتابه ـ هجوماً لا يوجد مثله في أربعة كتب للغزالي[2] .

* * *

لا مانع أن يختلف اجتهاد أهل العلم في المسائل ... أما أن ينتحل مؤلّف قولاً شاذًا يخالف به ثقات العلماء وكبار الأئمة، ويغيّر مفهومهم بدعوى تغيّر الاصطلاح بمرور الزمن ، ويوافق به أمزجة الأحزاب والجماعات [3] ، فهذا منهج غريب لا ينبغي لطالب العلم أن يسلكه في أي حال .

وماذا إذًا لو وافق المؤلف جهابذة الأمة فتمسّك برأيهم ـ لأن رأيه غريب يخالف ما هم عليه ـ وتجنّب من هذه

(١) كما سيأتي إن شاء الله .

(٢) كما ستأتي الأمثلة على كل ما قلت بشيء من التفصيل .

(٣) كما سيأتي إن شاء الله .

التكلّفات التي تذهب بهيبة العلم والعلماء في نظر الناس .

نظرًا إلى ما ورد فيه من المخالفات من انتهاج المنهج الجديد ، وتغيير الاصطلاح ، ومناهضة الإجماع ، قيّدت هذه الملاحظات السريعة ابتغاء الحق، واكتفاءً بما ورد في كتاب شيخنا الدكتور ربيع بن هادى المدخلي - حفظه الله - من البيان والتفصيل .

ولا يغيب عن ذهن القارىء الكريم أنه إذا سوّغ أحدٌ لنفسه أن يتكلّم في الآخرين كما يشاء ، أليس لهم أن يدافعوا عن أنفسهم بالأدلة والبراهين ، لأن قانون المرور « اتجاه واحد » لا مجال له في البحث والتحقيق ؟

وكذلك إذا قام أحد بأن يغيِّر الاصطلاح الثابت لدى المتقدّمين والمتأخرين والمعاصرين من فحول العلماء الثقات، أليس لغيره أن يقول له : قف « إيّاكَ أن تتكلّم في مسألة ليس لك فيها إمام » [1].

---

(١) قاله الإمام أحمد ، ونقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في «الردّ على الأخنائي » (ص ١٩٥- طبع إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض) وعنه في « أهل الحديث هم الطائفة المنصورة الناجية ».

لا أرى أي غـضـاضـة في ذلك طالما احـتـاج الأمـر إلى الإيضاح والبيان .

وأما إذا كان غير ذلك ، فإلى الله المشتكى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وبالمناسبة أن الشيخ سلمـان العودة ـ حفظه الله ـ عزيز علينا ولو لم يكن الحق أعز منه لما وقع هذا البحث والتوضيح .

«إنْ أُريدُ إلا الإصلاحَ مَا استَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيْقِي إلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإلَيْهِ أُنِيْبُ»

وصلىّ اللهُ على نبينّا محمدٍ وعلى آلهِ وصَحْبِه وسَلَّم

نيودلهي : ١٢ /٥/ ١٤١٢ هـ ـ ٢٠ /١١ /١٩٩١م.

كتبه

الفقير إلى الله الصمد

صلاح الدين مقبول أحمد

غفر الله له ولوالديه وإخوانه ومشايخه

كتاب « صفة الغرباء »
في نظر مؤلفه

محتويات الكتاب :

قال الشيخ سلمان بن فهد العودة في الكتاب ومحتوياته ما يلي :

« وهذه هي الرسالة الثانية [1]، وهي بعنوان « صفة الغرباء ». الفرقة الناجية ، الطائفة المنصورة ، صفات أخرى » .

وفي **الفصل الأول** منها دراسة حديثية وافية لحديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النار إلا واحدة، مع عرض خصائص الفرقة الناجية ، وبيان من هي ؟ والحديث عن الفرق الهالكة ، وهل هي كافرة ؟ وما معنى حصرها في اثنتين وسبعين فرقة ؟ ثم بيان غربة الفرقة الناجية .

---

(١) والرسالة الأولى من سلسلة « رسائل الغرباء » كانت بعنوان «الغرباء الأولون » أسباب غربتهم ، مظاهرها ، وكيفية مواجهتها، أسلوب جديد في دراسة « السيرة النبوية » (صفة الغرباء ص٥).

أما **الفصل الثاني** فهو دراسة حديثية وافية لحديث « الطائفة المنصورة » لمعرفة ثبوته وتواتره ، ثم عرض لخصائص هذه الطائفة ومهمّاتها ، وزمانها ومكانها ، وبيان من هي ؟

وفي **الفصل الثالث** وهو الفصل الأخير - دراسة [1] مدى الترابط بين هذه الألقاب الثلاثة [2].

(أ) الفرقة الناجية .

(ب) الطائفة المنصورة .

(جـ) الغرباء .

حيث يتضح جليًّا أن دوائر النجاة في الدنيا والآخرة ثلاث دوائر بعضها أضيق من بعض .

- **فأوسعها** : دائرة (الإسلام) الذي هو ضمانة دخول الجنة...

- ثم **الدائرة الثانية** : دائرة الفرقة الناجية السالمة من البدع والانحرافات وهي أضيق من الأولى ...

---

(١) في دراسة مدى الترابط بين هذه الألقاب الثلاثة تكلفات ظاهرة ، لا تخفى على الباحث ، راجع (صفة الغرباء : ٢٣٥ - ٢٥٣) وسيأتي بيان ذلك قريبا إن شاء الله .

(٢) هذه الألقاب الثلاثة مصداقها - عند المحققين من علماء الأمة - هم أهل الحديث والأثر والسنّة ، كما سيأتي .

ـ وأضيق منها **الدائرة الثالثة** : وهي دائرة الطائفة المنصور وهي جزء من الفرقة الناجية ... »[1].

وقال أيضا :

« وبهذا تتضح علاقة الفرقة الناجية ، والطائفة المنصورة ، بالغرباء . فالفرقة الناجية غريبة بين سائر فرق الأمة الثنتين والسبعين ، وهي أشد غربةً بين سائر ملل الأرض الكافرة فأفرادها ـ إذًا ـ غرباء ، وهي بمجموعها غريبة .

والطائفة المنصورة غريبة بين سائر أفراد الأمة ، ممن لا يجتمعون على الحق ، ولا ينصرونه ولا يجاهدون في سبيله، حتى ولو كانوا من « الفرقة الناجية » فكيف بغيرهم ؟ فكيف بسائر الأمم ؟

فغربتُها أشدّ وأقسى من غربة الفرقة الناجية .

ولكن لفظ « الغربة » يشملهم جميعًا ، كما يشمل غيرهم من المسلمين الغرباء بين الكفار .

وبهذا يتبيّن أن وصف النجاة وما يتبعه ، هو وصف لبعض الغرباء .

(١) « صفة الغرباء » (٦ – ٧ = المقدمة ؛ ٢٤٩ - ٢٥٠) .
(ملاحظة) : وسيأتي التفصيل عن هذا التفريق والتشقيق قريبًا إن شاء الله .

وكذلك وصف النصر وما يتبعه ، وهو وصف لبعضهم ، إضافةً إلى الأوصاف الأخرى الواردة في حديث الغربة ذاته»[1].

وقال أيضا :

« وبهذا التقرير تتضح علاقة هذه المسمّيات الثلاثة بعضها ببعض : الغرباء ، والفرقة الناجية ، والطائفة المنصورة ».[2] .

* * *

« أهل الحديث » في مهب الاصطلاح الجديد :

خالف المؤلّف علماء الأمة القدامى منهم والمتأخرين في تحديد « الفرقة الناجية » وإيجاد التفريق بينها وبين « الطائفة المنصورة » وربطهما بالغربة الواردة في الحديث ، على المنهج الذي ارتضاه لنفسه في كتاب « صفة الغرباء » ، بدعوى تغيّر الاصطلاح ، بغية توسيع دائرة النجاة ، فقال :

« وينبغي التنبيه إلى تغيّر المصطلحات بمرور الأزمنة واختلاف مدلولها بين عصرٍ وعصرٍ عند كثيرٍ من الناس .

---

(١) المصدر المذكور (١٥ - ١٦ = التمهيد ؛ ٢٥٤ - ٢٥٥ = الخاتمة).

(٢) المصدر المذكور (ص ٢٤٩).

وإذا كان الأئمة ـ رحمهم الله ـ يطلقون على أهل الحد
في الماضي ـ أنهم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة ، فإن اصطلاح (أهل الحديث) قد ضاقت دائرته عند الكثيرين ، حتى صار (عَلَمًا) على فئات قد تكون من أهل الحديث ، ولكنّها ليست أهل الحديث .

ولذلك لا يحسن إطلاق (الفرقة الناجية على فئاتٍ محددة بأهل الحديث ، وإن كانت هي ـ فعلاً ـ من أهل الحديث ، بل ينبغي إعادة هذا الاصطلاح إلى مفهومه الواسع الصحيح...»[1].

وقال أيضًا :

« لو أنصفوا لعلموا أن (الفرقة الناجية) هي منهج ، ومشرع ، وصفات وخصائص، وليست اسما ينتحل ، ولا دعوى تدّعى»[2].

* * *

(١) المصدر المذكور (ص ١١٨) .

(٢) المصدر المذكور (ص ١٢٣) . كرّر المؤلف مثل هذه العبارة في عدة مواضع من كتابه . راجع على سبيل المثال الصفحات ذات الأرقام (١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٤) أيضًا .

(ملاحظة) : ورد حديث افتراق الأمة بلفظ («... كلّها في النار إلا واحدة وهي الجماعة) ـ وبلفظ ـ : =

تنشأ تساؤلات كثيرة بعد قراءة هذه العواطف الغامضة ومنها :

* من كانَ على ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ولا يسمّي نفسه «أهل الحديث» هل أخرجه أحد من الفرقة الناجية ، حتى اضطر المؤلّف أن يغيثه بتوسيع دائرة النجاة ؟
* ومن لم يكنِ على ما كان عليه النبي وأصحابه . فهل يصدّق أحدٌ ممن عنده مسحةٌ من العقل والفهم أن المانع له من البعد عن منهاج النبوة هو عدم توسيع دائرة النجاة ؟
* ألم نخسر من هذه التوسعة - حناناً على المسلمين - من جانبين: فلا القوم سلكوا منهج النبي صلى الله عليه وسلم في العقائد والأحكام ، ولا نحن حفظنا كرامة النصوص ووقّرنا الإجماع المستقرّ ...
* إذن فلماذا هذه الدندنة حول تغيّر المصطلحاتِ بمرور الأزمنة ؟ وهل أشار إلى ذلك أحد من القدامى والمتأخرين أو المعاصرين ؟

وفي المعاصرين من هم جبال في العلم والفقه ، والفطنة ، والذكاء ، والاستنباط ، والاستنتاج .

= (قيل يا رسول الله ! من هم ؟ قال الجماعة) راجع «صفة الغرباء» . ص ٢٠، وما بعدها) .

فلماذا الإصرار على أنها منهج ومشرع وليست اسمًا ؟

* ألا يعتمد على العلماء الثقات على مدى العصور حيث نصّوا على أن أهل الحديث هم الفرقة الناجية والمنصورة والغرباء ؟

وإذا كان هؤلاء متجرّدين في أقوالهم فما معنى قول المؤلف : « لو أنصفوا لعلموا ... » ؟

وإذا لم يكن هؤلاء منصفين فأين الإنصاف ؟

* لماذا هذا التغاضي الواضح عن أهل الحديث ، والعواطف الغامضة مع غيرهم ؟

تنشأ مثل هذه التساؤلات وغيرها من قراءة هذا الكتاب .

فهل من مجيب !!

* * *

ضغوط الواقع
سببُ العواطف الغامضة

أنحي المؤلّف باللائمة على « علماء الأمة » حيث نصّوا على أن «أهل الحديث » هم « الفرقة الناجية المنصورة » ، وهم « الغرباء » ، وقال:

« لو أنصفوا [1] لعلموا أن (الفرقة الناجية) هي منهج ، ومشرع ؛ وصفات وخصائص ، وليست اسما ينتحل ، ولا دعوى تدّعى .

---

(١) أي عبد الله بن المبارك ، ويزيد بن هارون ، وأحمد بن حنبل ، وعلي بن المديني ، والبخاري ، وأحمد بن سنان ، وابن حبان وغيرهم ، لأن هؤلاء الفحول وأمثالهم هم الذين قالوا : إن المراد بها « أهل الحديث والآثار » ، كما نقل المؤلف نفسه عنهم في كتابه (٢٠٦ - ٢٠٩) .
وهنا طالبهم بالإنصاف ، فلا حول ولا قوة إلا بالله . وإذا عنى بهم المعاصرين فهم لم يأتوا بجديد من عند أنفسهم في هذا الباب فلماذا هذا الأسلوب ؟

* وفي مقابل ذلك :يوجد عند كثير من طوائف المسلمين ـ المقصِّرة أو الواقعة[1] **في بعض الانحرافات العقدية أو السلوكية ـ جوانب مفيدة ـ وإن لم تكن متكاملة ـ لا توجد لدى أولئك القوم ،** فحصر الفرقة الناجية فيهم قد يفهم منه أن تلك الفضائل ليست من خصائص الفرقة الناجية ، بل من خصائص المنحرفين ... » .
* ومن أمثلة ذلك : أن الجوانب العبادية والسلوكية قد ترتبط أحيانًا في أذهان كثير من الناس بالاتجاهات الصوفيّة أو المتأثرة بالصوفيّة فتصبح العناية بها ، والاحتفال بشأنها ، والحديث عنها ، شيئًا غريباً غير مألوفٍ في بعض البيئات

---

(١) المراد بها من يسمَّون بالخرافيين على أصنافهم وقال : « شاع استعمال هذا المصطلح وإطلاقه على المنسوبين إلى البدع الاعتقادية والعملية الغليظة ممن يقدِّسون الأولياء والسادة ، ويعظِّمونهم ، ويحجّون إلى القبور ، ويطوفون حولها ، وقد يصلّون إليها ، ويسكبون عندها العبرات ويضفون على النبي صلى الله عليه وسلم بعض صفات الألوهية « كعلم الغيب بما في ذلك المغيبات الخمس التي لا يعلمها إلا الله إضافةً إلى عنايتهم بإحياء البدع العملية ، كالموالد وغيرها » . (صفة الغرباء : ٦٧ ـ ٦٨ تعليقاً)

. والتجمّعات الأثرية المحاربة للتصوّف [1].

* ومثل ذلك : العناية بالجوانب السياسيّة ، والتركيز عليها ، والحرص على معرفة كيفية سير الأحداث ، وارتباط بعضها ببعض ، وكشف ألاعيب طواغيت الدنيا ضد الشعوب [2]. وخاصة الشعوب المسلمة .

---

(١) ماذا أراد المؤلف بهذا المثال الغامض ؟
وما هي بعض البيئات والتجمّعات الأثرية التي لا تفرّق بين السنة والبدعة في الجوانب العبادية والسلوكية ، فتصبح العناية بها شيئًا غير مألوف لديها ؟
لعل المؤلف أراد بهذه العبارة تبرير موقف « جماعة التـ .... » من الجوانب العبادية والسلوكية ، وله ذلك ، ولكن إن لم يتأتَّ له ذلك إلا برمي بعض التجمّعات الأثرية بالخلط بين السنَة والبدعة فبئس هذا المثال !

(٢) كشف العدوان العراقي على دولة الكويت عن مدى العناية بالجوانب السياسية والحرص على معرفة كيفية سير الأحداث وارتباط بعضها ببعض ...
أما كشفهم ألاعيب طواغيت الدنيا ضد الشعوب فلعلهم من أسهل الناس وقوعاً في حبائلهم . وما موقفهم من « صدام » وأمثاله عنكم ببعيد .

والحديث عن الحكم بغير ما أنزل الله ، وموالاة أعداء الله... كل هذا قد يرتبط في أذهان كثير من الناس ببعض التجمّعات التي لا يعرف عنها العناية بالسنّة ، والاهتمام بتصحيح العقيدة ، ومن ثَمّ يصبح الحديث عنها غير مألوف ولا مقبول - عند بعض من يهتمون بالسنّة والعقيدة - لأنه صار شعارًا لأولئك وخاصية من خصائصهم [1].

---

(١) إن كانت العناية بالجوانب السياسية خاصية من خصائص الجماعة ، مع عدم عنايتها بالسنّة وعدم اهتمامها بتصحيح العقيدة، فاللوم على هذه الجماعة أم على من ينكر تصرّفاتها مع الاهتمام بالسنّة والعقيدة .؟

لقد انتبه بعض قادة هذه الجماعة إلى خطورة الإهمال أو التقصير في جانب العقيدة في دعوتهم ، فصرّحوا بذلك أداءً للأمانة وتفاديًا للأخطاء التي حصلت في تربية الشباب في الماضي . (راجع جريدة (المسلمون) السنة الأولى ، العدد الثالث ، الصادر في يوم السبت ٤من جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ (ص ٦ - ٧) حلقة من سلسلة مقالات تحت عنوان « لماذا أعدموني » الأستاذ سيد قطب) ، و « واقعنا المعاصر » الأستاذ محمد قطب (٤١٠ - ٤١٩) ، « ودعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة » لكاتب هذه السطور (١٧٠ -١٧٣) طبع «مجمع البحوث العلمية الإسلامية » بنيودلهي.

ولهذا كلّه - ولغيره - يترجّح القول بأن (الفرقة الناجية) خصائص وصفات وأصول ، من تمسّك بها - فردًا أو جماعة -، فيرجى أن يكون من الناجين ، ومن أعرض عنها ، فيخشى أن يكون من الهالكين » [1].

* * *

اتضح من أسلوب المؤلف دلالته القوية على تأثره بضغوط واقع الجماعات لكونها تتواجد في القارات كلها ، وأشار هنا إلي ثلاث منها ، وهي :

١ - الطائفة المقصرة أو الواقعة في بعض الانحرافات العقدية أو السلوكية .

٢ - الاتجاهات الصوفيّة أو المتأثّرة بالصوفيّة .

٣- التجمّعات المهتَمّة بالجوانب السياسية التي لا يعرف عنها العناية بالسنّة.

رفقاً بهذه الطوائف والاتجاهات والتجمعات التي فيها - الغثّ والسمين - يأتي إصرار المؤلّف على توسيع دائرة النجاة، والتفريق بين الفرقة الناجية والطائفة المنصورة ، إذ كيف يمكن التغاضي عن هذه الاتجاهات التي حققت أهدافها المنشودة في أرجاء المعمورة ، ونالت إعجاب الناس وثقتهم.

---

(١) « صفة الغرباء (١٢٣ - ١٢٤)

هكذا منطق المؤلف .

إذًا المؤلف مُحرجٌ أمام هذه التجمّعات ، ولذلك يصرّ على نقض الإجماع ، ومزاحمة العلماء .

ليس مهمّا اختلاف العلماء في المسائل في ضوء الأدلة من الكتاب والسنة ، بل هو الواجب عند المحققين من أهل العلم سلفًا وخلفًا.

وليس مهمّاً ترجيح رأي على آخر .

ولكن الأكثر أهميةً معرفةُ « الدافع والمرجّح » ، والإصرار الأكيد على تأويل النصوص وصرفها عما يراد بها إلى مراد المريد.

هل يعتقد أن يشكّل الواقع ضغطاً على حسّ الباحث ، يضطرّه إلى تغيير الاصطلاح المستقرّ والاحتجاج على المصطلحين ، ورميهم بعدم الإنصاف ؟.

ما هكذا يكون التجرّد والموضوعية في البحث والتحقيق !

* * *

« أهل الحديث »
هم الفرقة الناجية المنصورة والغرباء
في نظر العلماء القدامى منهم والمتأخرين

لقد تغاضى المؤلّف عن ذكر أقوال الأئمة الأعلام ، والمحدّثين العظام ، وشرّاح دواوين السنّة في أهل الحديث وأنهم المراد بالفرقة الناجية والمنصورة والغرباء من غير أن تفرّق بينها .

وقد كفانا شيخنا الأستاذ ربيع بن هادي عمير المدخلي - حفظه الله - مؤنة البحث عن ذلك ، ونقل عن أربعة وأربعين عالمًا من علماء الأمة المعروفين في عصورهم إشادتَهم بذكر أهل الحديث ، وبيانهم أنهم هم المراد بالطائفة الناجية والمنصورة والغرباء [1] وقد ربط كلّهم أو جلّهم حديث «افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النار إلا

---

(١) « أهل الحديث هم الطائفة المنصورة الناجية » .

واحدة» بحديث الطائفة المنصورة : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين... » من غير التفريق بينهما .

وكذلك أمرُهم في ربط أهل الحديث أيضًا بحديث «الغرباء»: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء».

١ـ كما هو ظاهر من صنيع الخطيب الغدادي حيث عَنْوَنَ بـ «قول النبي صلى الله عليه وسلم : بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء» ونقل في تفسيره قول «عبدان» :

«هم أصحاب الحديث الأوائل »[1] .

٢ـ وقال الحافظ ابن رجب :

«...فلم ينج من هذه الفرق كلّها إلا الفرقة الواحدة الناجية، وهم المذكورون في قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين ... » وهم في آخر الزمان «الغرباء» المذكورون في هذه الأحاديث ، الذين يصلحون إذا أفسد الناس ... » [2].

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ... إذا جمعتْنا يا جرير المجامع

(١) شرف أصحاب الحديث للخطيب (ص ٢٣ ـ ٢٤) تحقيق محمد سعيد أوغلي.

(٢) كشف الكربة (ص١٦) وعنه في « أهل الحديث هم الطائفة الناجية المنصورة ».

آراء المعاصرين

سأعرض الآن أقوال بعض النابهين من المعاصرين الذين يُعرف كلّهم أو جلّهم باتجاهاتهم الخاصة ، وباتّساع مداركهم العلميّة والثقافية ، واطلاعهم الواسع على كتب التفاسير ودواوين السنة وأسفار الفقه ، وتقدّمهم في مجال الاستنتاج والاستنباط ، ليتضح جليّاً أن ما ذهب إليه المؤلِّف من التفريق بين الناجية والمنصورة والغرباء ، لم يقل به أحد قبله من المتقدّمين والمتأخّرين والمعاصِرين .

وإليكم أقوالَهم وبالله التوفيق :

* ذكر الشيخ مقبل بن هادي الوادعي حديث أبي هريرة وحديث معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهم - في افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النّار إلا واحدة ، ثم قال :

« فهذان الحديثان وما في معناهما من الأحاديث التي تدلّ على أنه لا ينجو إلا فرقة من ثلاث وسبعين فرقةً ، والفِرَقُ

الأخرى في النار تحتم على المسلم أن يبحث عن هذه الفرقة الناجية حتى ينتظم في سلكها ويأخذ دينه عنها .

ومما يجب التنبيه عليه أن كلّ فرقةٍ تدّعى أنها الفرقة الناجية، وقد جاء الكتاب والسنّة ببيان الفرقة الناجية (ثم ذكر سورة «العصر» . والآيات الإحدى عشرة من سورة «المؤمنون» وحديث أبي هريرة : « كلّ أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ... ألخ ») وقال :

فمن توفّرت فيه هذه الصفات في سورة «العصر» و«المؤمنون» والحديث ، فهو من الفرقة الناجية سواء كان حجازيًّا أم يمنيًّا أم شاميًّا أم من أيّ بلدةٍ كان . وأقرب الناس ممن تنطبق عليه هذه الصفات هم أهل الحديث ، وقد قال غير واحد من أهل العلم : أن المراد بما أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما» من حديث معاوية والمغيرة بن شعبة عن النبي صلى الله عليه وسلم :

« لا تزال طائفة من هذه الأمة قائمةً على أمر الله لا يضرّهم من خالفَهم حتى يأتيَ أمرُ الله » . قال غير واحد من أهل العلم أن المراد بهم «أهل الحديث» لأنّهم لا يتعصّبون لأيّ مذهبٍ وإنما يتعصّبون للحقّ ولا ينبغي أن يَقْصُرَ على المحدّثين فالرجل الصالح المتّبع للحقّ من الفرقة الناجية وإن لم يكن محدّثًا إلا

أن «أهل الحديث» يدخلون دخولاً أوّليّا»(١).

* وقال الأستاذ محمد سرور بن نايف زين العابدين :

« إن لعلماء الحديث فضلاً على « الأمة الإسلامية» لا ينكره إلا كلُّ جاهلٍ متعنّتٍ ، وسوف يستمرّ دورُهم وفضلُهم لأنهم «الطائفة المنصورة» التي لا يضرّها من خالفها حتى يأتي أمر الله.

ومن زعم أنه يستطيع أن يقوم بالجهد الذي يؤدّيه علماء الحديثِ ، ولا علم عنده ، فقد أبعد النجعة ، وافترى بهتانًا وإثمًا مبينًا .

بل ومن زعم أن علماء الحديث عنده كعمال الخدمات يقدّمون له الحديث الصحيح ، وهو الذي يتولّى فهمه وشرحه... من زعم ذلك فقد أساء للعلم وأهله ووضع نفسه في مكانة لا يستحقّها . وهذا شأن المغرورين الذين يعجبون بآرائهم ولا يرون لأحد من الناس فضلاً عليهم ويحسبون أنهم يحسنون صنعًا » (٢).

---

(١) «رياض الجنة في الرد على أعداء السنة» للشيخ مقبل هادي الوادعي (٨-٩) ط. ثانية ١٤٠٥ هـ دار الأرقم ، الكويت .

(٢) « الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الحديث وأهل الغلو » (١/٥٧ - ٥٨) طبعة دار الأرقم . الكويت ط. ثانية ١٤٠٨ هـ =١٩٨٨م).

* وقال الأستاذ رضا معطى :

«إنها (العقيدة السلفية) تربط المسلم بالسلف العظيم فتزيده عزّة وافتخاراً . كيف لا ؟ وهي تجعله يسير على خطى الصحابة ومن جاء بعدهم من السلف الذين هم سادة الأولياء وأئمة الأتقياء ، وما كانوا عليه هو الدين الذي لا جدال فيه . كلّ ذلك يزيد المسلم بصيرةً في دينه فهو متأكّد أنه يسير في ظلال « الفرقة الناجية » التي وصفها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث « افتراق الأمة ... » .

ولا يستطيع أحد أن ينفي هذا الوصف عن سلف هذه الأمة... ولا شك أن من كان على طريقتهم ممن جاء بعدهم هم أهل الحق وهم الفرقة الناجية . وهذا ما قرّره المحقّقون من أهل العلم ... ».

- ثم نقل قول ابن المديني ، ويزيد بن هارون ، وعبد الله ابن المبارك ، وأحمد بن حنبل في تحديد الفرقة الناجية المنصورة بأنهم « أهل الحديث » [1].

* وقال الأستاذ « أحمد فريد » بعد ما ذكر حديث «افتراق

---

(١) « علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين » للشيخ رضا معطي (١٩ - ٢١) ط . أولى ١٤٠٢ هـ .

الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» .

« ومما يؤيّد ما ذكرناه من أنّ الفرقة الناجية من كان على شاكلة الجماعة الأولى قبل أن تظهر فيها الأهواء والبدع قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرّهم من خذلهم حتى يأتي أمرُ الله وهم كذلك »[1].

فهذه الطائفة الظاهرة لا شك أنها الفرقة الناجية المتمسكة بما كان عليه الصدر الأول من هذه الأمة[2].

* بين الشيخ محمد جميل زينو « منهاج الفرقة الناجية » وذكر أموراً عديدة ، منها :

١- الفرقة الناجية : يحيون سنن الرسول صلى الله عليه وسلم في عبادتهم وسلوكهم وحياتهم ، فأصبحوا غرباء بين قومهم ، كما أخبر عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء » . (رواه مسلم)

ثم ذكر علامة الفرقة الناجية ، وقال أخيراً :

---

(١) صحيح البخاري (١٠ / ٢٩٣) مع الفتح .

(٢) « خصائص أهل السنة » للأستاذ أحمد فريد (ص ٤٣) مؤسسة قرطبة .

«هذه بعض نماذج وعلامة الفرقة الناجية التي هي الطائ ة المنصورة لتكون على عقيدتها إن شاء الله »[1].

* ألّف الشيخ ربيع بن هادي عمير المدخلي رسالة مستقلة في الموضوع أسماها « أهل الحديث » هم الطائفة المنصورة الناجية » ، وهي مؤاخذات على كتاب « صفة الغرباء » فراجعها فإنها مهمة .

* وذكر الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد بزوغ بذرة التفرق والانشقاق في هذه الأمة ثم تشتّتها في مختلف الفرق وقال[2] :

« لما حصلت تلك الفرق ، منتسبة إلى الإسلام ، منشقّة عن العمود الفقري للمسلمين ، ظهرت ألقابهم الشرعية المميّزة لجماعة المسلمين لنفي الفرق والأهواء عنهم، سواء ما كان من الأسماء ثابتًا لهم بأصل الشرع :

---

(١) مجموع رسائل التوجيهات الإسلامية : منهاج الفرقة الناجية والطائفة المنصورة للشيخ محمد جميل زينو (١٥٨ - ١٦٢) مطبعة المدني ط. أولى ١٤٠٨ هـ.

(٢) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية (٤٠-٥١) ط. ثانية ١٤١٠ هـ دار ابن الجوزي .

- الجماعة .
- الفرقة الناجية .
- الطائفة المنصورة .

أو بواسطة التزامهم بالسنن أمام أهل البدع ، ولهذا حصل الربط بهم بالصدر الأول ، فقيل لهم :

- السلف .
- أهل الحديث .
- أهل الأثر .
- أهل السنة والجماعة .

وهذه الألقاب الشريفة تخالف أيّ لقبٍ كان ، لأيّ فرقةٍ كانت ، من وجوه :

الأول : أنها نسبة لم تنفصل ولا لحظة عن الأمة الإسلامية منذ تكوّنها على منهاج النبوة ، فهي تحوي جميع المسلمين من الرعيل الأول ومن يقتدي بهم في تلقي العلم وطريقة فهمه وبطبيعة الدعوة إليه ، فلم يعد إذن محصوراً في دور تاريخيّ معيّن ، بل يجب أن يفهم على أنّ مدلولَه مستمرًا استمرار الحياة . وضرورة انحصار الفرقة الناجية في أهل الحديث والسنة ، وهم أصحاب هذا المنهج ، وهي لا تزال باقيةً إلى يوم القيامة ، أخذًا من قوله صلى الله عليه وسلم : «لا تزال

طائفة من أمتي منصورين على الحق ، لا يضرّهم من خالفَهم ولا من خذلَهم ».

الثاني : أنها تحوي كل الإسلام : الكتاب والسنة ، فهي لا تختص برسم يخالف الكتاب والسنّة زيادة أو نقصاً .

الثالث : أنها ألقاب منها ما هو ثابتٌ بالسنّة الصحيحة ، ومنها ما لم يبرز إلا في مواجهة مناهج أهل الأهواء والفرق الضالّة لردّ بدعتهم ، والتميّز عنهم ، وإبعاد الخلطة بهم، ولمنابذتهم ، فلمّا ظهرت البدعة تميّزوا بالسنّة ، ولمّا حكّم الرأي تميّزوا بالحديث والأثر ، ولمّا فشت البدع والأهواء في الخلوف تميّزوا بهدى السلف وهكذا ...

ومن الملاحظ أنه لو كانت الأمة في قالب الإسلام الصحيح خالية من البدع والأهواء ـ كما كان الصدر الأول ـ ومقدمة السلف الصالح ، لغابت هذه الألقاب المميّزة لعدم وجود المناهض لها .

الرابع : أن عقد الولاء والبراء والموالاة والمعاداة لديهم هو على الإسلام لا غير ، لا على رسم باسم معيّن ولا على رسم محدّد ، إنما هو الكتاب والسنة فحسب .

الخامس : أن هذه الألقاب لم تكن داعيةً لهم للتعصّب لشخصٍ دون رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم.

قال شيخ الإسلام ابن تيميـة ـ رحمة الله تعالى ـ لما سئل عن حديث الافتراق ـ :

« وبهـذا يتبـيّن أن أحق النّاس بأن تكون هي الفرقـة الناجـية أهل الحـديث والسنة الذين ليس لهم متـبوع يتـعـصبّـون له إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ... »[1] .

السادس : أن هذه الألقاب لا تفـضي إلى بدعةٍ ولا معصـية ولا عصبيّة لشخصٍ معيّن ولا لطائفةٍ معيّنة .

فإذا قـيل : « أهل السنة والجماعـة » ، انتظم هذا اللقب هذه الخـواص ، وهذا لا يكـون لأحـدٍ من أهل الفـرق بأسـمـائهم ورسومهم التي انشقّوا بها عن جماعة المسلمين .

وإذا قـيـل : « السلف » ، أو «السلفـيـون» ، أو «لجـادتهم السلفية» ، فهي هنا نسبة إلى الـسلف الصالح : جميع الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ومن تبـعهم بإحسـان ، دون من مالت بهم الأهواء بعـد الصـحـابة ـ رضي الله عنهم ـ مـن الخلوف الذين انشـقّوا عن السلف الصـالح باسم أو رسم ومن هنا قـيل لهم : «الخلف»...

وإذا قـيـل : « أهل الحـديث » ، ومِـثله « أهـل الأثر » ،

---

(١) راجع للتفصيل «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٣/٣٤٦-٣٤٧)

فلاختصاصهم بمزيد العناية من رواية ودراية ، وأنهم يقدّمونه على الرأي ... - إلى أن قال - :

« وههنا تبرز دلالةٌ من الدلائل على نبوة نبيّنا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم في إخباره عن تفرّق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة ، وأن الفرقة الناجية من قال صلى الله عليه وسلم في وصفها :

«من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي».

وهم الفرقة الناجية التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون» . (رواه البخاري ، وله ألفاظ أخرى عند بقية الستّة). وعليه ؛ فهم الثابتون على : خط الدفاع الشرعي عن الإسلام : منهاج النبوة الكتاب والسنّة ، والدعوة إليهما ، وعقد الولاء والبراء عليهما [1].

* * *

هذه هي بعض المقتطفات من كتابات كبار المعاصرين النابهين في شتى علوم الكتاب والسنّة ، وفيها ضالّتنا المنشودة، والكفاية لمن له دراية ... والسلام .

إذا رضي الحبيب فلا أبالي أقامَ النّاس أم جدَّ الرَّحيلُ

---

(١) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية (٤٠-٥١).

عدم الاحتفاء بذكر « أهل الحديث »
بهذا الاسم المعروف
على مدى القرون والأجيال

أوّلَ المؤلّفُ في كتابه كلمة « أهل الحديث » إلى ما هو أعمّ منها - التي وردت في موضع الشرف والفضيلة - في تحديد الفرقة الناجية والطائفة المنصورة والغرباء ، وتغاضى عنهم أحيانًا لأنه لا يحتفي بذكرهم ، بل شكّكَ [1] في صحة بعض أقوال الأئمة الواردة في الموضوع بأسلوب لا ينبغي للباحث المتجرّد أن يختاره في بحثه العلمي ودراسته الموضوعية.

قال أستاذنا الشيخ ربيع بن هادي المدخلي :

١ - «إنك لا تراه يحتفي بأهل الحديث ولا ينشط لذكر فضائلهم ومزاياهم ، فلم أر لهم ذكرًا بلفظ «أهل الحديث» في كتابه الأوّل : «الغرباء الأولون».

---

(١) كما سيأتي قريبًا إن شاء الله .

٢ـ فإن ذَكَرَ « أهل السنة » فذلك لأن هذا اللفظ لا يخصّ «أهلِ الحديث» في نظره. فمثلاً ذكر حديث «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء».

نقل عن سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ أنه قال : «استوصوا بأهل السنة خيرًا فإنهم غرباء» [١].

فالظاهر أن سفيان يريد أهل الحديث لأن المنتسبين إلى السنة الذين يقابلون أهل البدع في عصره كانوا أكثرية، والدولة والسلطان بأيديهم .

وفسر «عبدان» « الغرباء» الوارد ذكرهم في الحديث «بأهل الحديث» فلم ينقله الشيخ سلمان ، وكان هو الأولى بالنقل لأنه تفسيرٌ مباشرٌ من عبدان للحديث.

٣ـ نقل شرح «عبدان» للغرباء بأنهم «أهل الحديث» في سياق أدخل فيه جميع المنتسبين إلى الإسلام ، وتعقّبه الشيخ سلمان بقوله : «وإذا كان الحديث عاما غير مخصص...»[٢].

---

(١) «الغرباء الأولون» (ص ٥١) .

(٢) «صفة الغرباء » (٢٣٦ ـ ٢٣٧) . راجع «أهل الحديث هم الطائفة المنصورة الناجية » للدكتور ربيع بن هادي المدخلي

٤ـ قال المؤلف :

«وقد ورد عن الأئمة أقوال كثيرة جدًا في تحديد الطائفة المنصورة ، وبيان من هم » ؟

وسوف أعرض هذه الأقوال ، ثم أتناولها بالدراسة ...» ـ ثم ذكر أقوال عبد الله بن المبارك ، ويزيد بن هارون ، وأحمد بن حنبل ، وعلي بن المديني ، وأحمد بن سنان ، وابن حبان وفي جميعها التصريح بأن الفرقة الناجية والمنصورة هم «أهل الحديث» ، «وأصحاب الحديث» «وأصحاب الآثار».

وفي رواية عن البخاري وأحمد بن سنان «أهل العلم» أيضًا، ثم قال متأوّلاً :

«وقد مضى بيان المقصود من «أهل الحديث» أنهم أهل[1] السنة ، المتّبعون لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، المجانبون لطريقة أهل البدع... وهم بهذا ـ الفئةُ المقابلةُ لأهل الرأي...

---

(١) صفة الغرباء (٢٠٦ ـ ٣١٠).

ـ وقال الشيخ ربيع : «فإن ذكر أهل السنّة فإن ذلك لأنّ هذا اللفظَ لا يخصّ « أهل الحديث » في نظره ». كما تقدّم.

«ولذلك عبّر البخاري ـ رحمه الله ـ بقوله : «أهل العلم» . ومدلول العلم أوسع من مدلول الحديث ، وإن كان الحديث قد يطلَقُ [1]عليه العلم » [2].

ينمّ هذا التصرّف في التأويل عن تبرّم وضيق من «أهل الحديث» وعدم الاحتفاء بذكرهم، والاعتراف بفضلهم، «غير أن الله أبى أن يكون الحق والعقيدة الصحيحة إلا مع «أهل الحديث والآثار ... » كما قال أبو القاسم الأصبهاني - رحمه الله ـ [3].

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني : أما الفرقة الناجية فهي

---

(١) العلم إذا أطلق عند المتقدمين فلا يراد به إلا علم الكتاب والسنة ولا ريب أن مدلول العلم أعمّ من مدلول الحديث، ولكن إذا فسّر البخاري « الطائفة المنصورة» بأهل الحديث تارةً ، وبأهل العلم أخرى ألا يفهم من هذا أنه لا يريد بأهل العلم إلا «أهل الحديث» . ؟ ولِمَ لا يكون الخاص هنا مخصّصًا للعام ؟ ولكن التأويل ...

(٢) صفة الغرباء (٢٠٦ ـ ٢١٠).

(٣) « الحجة في بيان الحجة » لأبي القاسم الأصبهاني ؛ وعنه في «علاقة الإثبات» (ص ٢١).

«أهل السنّة والجماعة» ، وأهل السنة لا اسم لهم إلا اسم واحد وهو « أصحاب الحديث »[1].

وإن سكتوا أثنت عليك الحقائب .

* * *

(١) الغنية (ص ٨٠) وعنها في «علاقة الإثبات» (٢٣).

تشكيك
في صحة بعض الأقوال الواردة
في تحديد الفرقة الناجية المنصورة

من دأب الباحث الأمين في موضوع ما أن يتفاعلَ معه بالأدلة ، ويدور مع الحق حيث دار ، حتى يصل إلى النتيجة المتجرِّدة من الهوى والضغط.

أما أن يؤوّلَ نصّاً يخالف مقصوده المبيَّت ، أو يشكّكَ في نصٍ تارةً ويصحِّحه أخرى ، أو يسكتَ عن الحكم على نصٍ يحتاج المقام إلى ذلك ، ثم يذكر الحكم عليه في مكان قد لا يهتدي القارىء إليه ، فهذا ليس من أسلوب الباحث المحايد.

مع الأسف أنّ المؤلف وقع في بعض هذه الأمور ، وأهمّها:

* التشكيك في صحة قول الإمام أحمد في تحديد الفرقة الناجية المنصورة :

« إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم ؟»[1].

وعَلى فرض صحّتهِ عند المؤلّف ، وصرفه عن مراده إلى ما أراد[2] .

لقد أورد المؤلّف هذا القول في « صفة الغرباء » في ثلاثة مواضع [3]:

١ـ قال في الموضع الأول :

« هل يعني هذا ـ إن صح عن أحمد ـ أنه يعد (أهل الحديث) هم الفرقة الناجية ، ومن هم أهل الحديث المقصودون بهذه الكلمة ؟» [4].

أحال المؤلّف قول أحمد إلى الخطيب هنا بدون ذكر الكتاب والصفحة ، خلاف عادته في تخريج الأحاديث ، والأقوال.

---

(١) شرف أصحاب الحديث للخطيب (ص٢٧) ، و « معرفة علوم الحديث » للحاكم (ص٢) «بسند صحيح» قاله الحافظ في الفتح (١٣/٢٩٣).

(٢) كما تقدّم آنفًا . وراجع « صفة الغرباء » (١١٤ ـ ١٢٥).

(٣) صفة الغرباء (١١٤ ، ١٢٠، ٢٠٧).

(٤) المصدر المذكور (ص ١١٤) .

٢ـ قال **في الموضع الثاني :**

« أما الكلمة المنسوبة إلى الإمام أحمد ، فعلى تقدير ثبوتها، فإنه يقصد بهذا الاصطلاح « أهل الحديث » القوم الدائنون بالمعتقد الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه...» [١].

هنا أيضًا لم يُحِلِ المؤلّفُ قول الإمام إلى مصدر ما خلاف منهجه.

٣ـ وقال **في الموضع الثالث :**

« وقال الإمام أحمد « إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم ؟» هنا نشط المؤلف لتخريج قول الإمام أحمد، فأورد في التعليق ما يلي :

«رواه الخطيب في «شرف أصحاب الحديث»، الموضع السابق (أي قوله صلى الله عليه وسلم : لا تزال طائفة ... » برقم (٤٨) ، (ص٢٧).

ـ والحاكم في « معرفة علوم الحديث» (ص٢)

وقال ابن حجر : «بسند صحيح» ، يعني إسناد الحاكم (الفتح ٢٩٣/١٣)[٢] .

---

(١) المصدر المذكور (ص ١٢٠) .
(٢) المصدر المذكور (ص ٢٠٧) .

هناك ملاحظات على هذا الأسلوب تتلخص في النقاط التالية:

١- بدا من صنيع المؤلّف أنه وافق على تصحيح الحافظ ابن حجر قولَ الإمام أحمد ، وإلا لِمَ سكت على ذلك ؟

فإن كان الأمر كذلك ، فما الذي حمله على إيراد قول أحمد على وجه الشك بقوله : «وإن صح عن الإمام أحمد» في الموضع الأول .

وبقوله « فعلى تقدير ثبوتها (أي كلمة الإمام) في الموضع الثاني ؟

وقوله في الموضع الثالث : « قال ابن حجر « بسند صحيح أي إسناد الحاكم » ثم سكوته عليه (كالتي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثًا) .

٢- وإذا كان إسناد الخطيب ، غير صحيح ، فما الذي منعه أن يورد قول أحمد بسند الحاكم في الموضعين الأوليين كما أحال إليه في الموضع الثالث ؟

٣- لو فعل ذلك - في نظري - لما استقام له هذا الأسلوب المريب في الموضعين : الأول والثاني .

والله المستعان!!

« أهل الحديث والسنة »
في نظر سلمان العودة ومحمد الغزالي

قال العودة في الغزالي :

«والشيخ - غفر الله لنا وله -[1] خاصةً في مؤلّفاته الأخيرة ينتهز كل فرصة لسب مخالفي منهجه من شباب الصحوة الإسلامية ، ورميهم بالألقاب المنكرة فيما تجده يتحدّث مثلاً عن التقدّم العلميّ والحضاريّ ، أو عن الصراع مع اليهود ، أو عن قضية تأريخيّة ، أو عن التبشير النصراني في إندونيسيا ، أو في قضيّةٍ علميّةٍ ، فتجدُ بين الأسطر أنه ينتقل انتقالاً مفاجئًا لا مناسبة موضوعية له إلى الهمز واللمز والتنقص»[2].

هذا سلمان « حوار هادىء » مع الغزالي .

---

(١) «ما ألطف هذه العبارة ! إنها تكاد تسيل رقةً وعذوبة وتسامحً مع أنها تعقيب على «الغزالي».(حوار هادىء ص ٧٠ بتصرفٍ يسير)

(٢) « حوار هادىء» (ص٧٨)

أما سلمان « صفة الغرباء » فوقع فيما أنكره على الغزالي من الشائنات ، وبلغ به التغيرّ إلى أنّه عند هجومه على «أهل الحديث» لا تكاد تفرّق بينه وبين الغزالي .

وإليكم جدولاً لأقوالهما في « أهل الحديث » للتدليل على ما قلت ، وأترك الحكم عليها إلى القارىء الكريم .

وبالله التوفيق :

سلمان العودة [1]	**محمد الغزالي**
١ـ هذه الفئات التي ترى أنها أحق بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وأجدر بوصف (النجاة) فيها عيوب وأخطاء، وفيها خلل وتقصير ـ حتما ـ ، وفي غيرها فضائل لا توجد فيها ـ قليلة كانت أو كثيرة ـ. (صفة الغرباء: ص ١٢١)	١ـ قد ترى العابد من هؤلاء يضع يديه على صدره وهو قائم للصلاة ، ثم يعيد وضعهما بعد الرفع من الركوع ، يثير زوبعة على ضرورة ذلك، فإذا كلّفته بعمل ترقي به الأمة اختفى من الساحة»[2].

(١) سأنقل في الهامش بعض ما ردّ به الشيخ سلمان العودة علي الغزالي في (حوار هادىء) على شبه ما قال به نفسه في «صفة الغرباء » ويظهر من هذه المقارنة جليًّا ذاك التغير الذي طرأ على كتاباته خلال السنوات الثلاث الماضية ، فالحمد لله الذي لا يُحْمَدُ على مكروهٍ سواه .

(٢) قال الشيخ ربيع : « وهل كتاباتكم المتناقضة المتضاربة ترتقي بالأمة أو توقعهم في الحيرة والبلبلة ؟ وما هي أعمال هذا الرجل وأمثاله التي ارتقت بها الأمة ؟ وهل يريد الرجل لأمته ارتقاء ماديًا على عقائد ضالّة وأعمال مبتدعة وأفكار منحرفة ؟ فإذا تصدّى المصلحون لإصلاح هذه الأساسيّات صاح وزمجر وأقام الدنيا وأقعدها على هؤلاء المصلحين المخلصين وسخر من أساليبهم وشكّك في نواياهم وأهان قضاياهم». (زوابع في وجه السنة : ص ١٨٩ تعليقًا).

محمد الغزالي	سلمان العودة
٢ـ والحق أن هناك أناساً يشتغلون بالدعوة الإسلامية وفي قلوبهم غلّ على العباد ورغبة في تكفيرهم أو إشاعة السوء عنهم، غِلّ لا يكون إلا في قلوب الجبابرة والسفّاحين وإن زعموا بألسنتهم أنهم أصحاب دين، وإنَّ فقهَهم معدوم وتعلّقُهم إنما هو بالقشور والسطحيات» (هموم داعية : ص ١٥٣) إنكم في الفقه أصفار لا في العير ولا في النفير ، وهذا الجهل مقبحة محدودة ، أما المقبحة التي لا تحد فهي اشتهاؤكم لذمّ الناس والتماس العيب للأبرياء.. [١] (دستور الوحدة : ص١٩٦)	٢ـ وإذا كان من المتوقع أن يكون التجرّد في هذا الزمان قليلاً ، فيجب أن نتوقع لذلك أن ثمة عيوبًا في هؤلاء ستتحول - في نظرهم - إلى محاسن ، وفروعًا ستتحول إلى أصول ، لأنها صارت خصائص لهم تميّزهم عن غيرهم. ويجب أن نتوقع أن ثمة جوانب مشرقة عند غيرهم ستلقى منهم الصدود والإعراض والتهوين من شأنها ، لأنها اقترنت - عندهم - لفئة عيوبها كثيرة، وأخطاؤها فاحشة. (ص١٢١)

(١) قال العودة : « والغريب أن الشيخ خصَّص نصف هذا الموضوع (التكفير) لمن يسميهم بالسلفيين، فاللهم غفرا». (حوار هادىء ص٨٥).

سلمان العودة	محمد الغزالي
٣- وعلى سبيل المثال : فإن من المألوف لدى الحريصين على اتباع السنّة في هذا الزمان أن يعتنوا بالجوانب العلمية - والحديثية خاصة - ، ويحرصوا على تجنّب التقليد ومحاربة المحرّم منه، ويهتمّوا بسلامة المعتقد. (ص ١٢١)	٣- تركنا الاتجاه الإيجابي ، ثم شرعنا نقول : النفاق قسمان: نفاق في العقيدة ، ونفاق في العمل - الأول كفر، والثاني عصيان... نتج عن ذلك انهيار هائل في بنيان الأخلاق واستهانة مقبوحة بجملة الفضائل»[١]. (هموم داعية : ص ٨٠) * « ليس سلفيا من يجهل دعائم الإصلاح ، ثم يجري هنا وهناك مذكيا الخلاف في قضايا تجاوزها العصر الحاضر، ورأى الخوض فيها مضيعة للوقت)»[٢] . (هموم داعية : ص ١٨)

(١) قال الشيخ ربيع :« من أسباب انهيار الأخلاق والعقائد كتابات ودعايات المستهترين بالسنّة والقيم الإسلامية مثل الحجاب، وتوفير اللحى ، والسخرية بالأحاديث التي تحرّم التصوير والأغاني وغير ذلك مما سهل على جمهور المسلمين السقوط في حمأة الرذائل الخلقية» (زوابع في وجه السنة:ص ١٨٦ تعليقاً)

(٢) قال العودة : «إذًا نحن أمام ضغط العصر الحاضر ، ومرّة أخرى تضـ علينا هذه العقدة!» (حوار هادىء : ٣٢)

سلمان العودة	محمد الغزالي
٤ـ وهذه الجــوانب الإيجــابيــة قــد يسيء بعــضــهم أخــذها، فــيــتــحــوّل جــانب بالعناية بالحـديـث ونبـذ التـقليـد إلى فـوضى تشـريعيّـةٍ لا أوَّل لهـا ولا آخــر، ويصــبــح من لا يحسن قـراءة الآية ، ولا نطق الحـديث ممـن يسـتظـل بظل القوم (مجتهدًا)، لا يعبأ بقول أحمد ولا مـالك ولا الشافعي ولا أبي حنيـفـة ويـزعم أنه سيأخذ من حيث أخذوا. (ص ١٢١ ـ ١٢٢)	٤ـ « واشـتـغـال هؤلاء بالـدعـوة الإسـلامـيـة[1] أثار فـوضى محزنة في الداخل والخارج» * « وقد ظهـر ناس يتسـمون بأهل الحـديـث ، لا يعلمــون عن القرآن شـيئًا ، وبضاعـتُهم في فقه السـنّةِ مزجاةٌ ، فيهـم شبه من فكـر الظاهريـة ، ومـزاج الخـوارج ، وفـيـهم جــمـود يغـطونه بـدعــوى الاتبــاع، وفيـهم جرأة على أئمة الفـقه الكبار...» [2]. (سرّ تأخر العرب :ص ١٠١)

(١) قـال العـودة : « مـا رأي الشـيـخ لو أن أحـد هؤلاء المخالـفين رمى الكرة في ملعبه ، وقـال : إن ما تعيبنا به مما تعـاب به أنت وإن مثلنا ومثلك كـما قيل : «رمـتني بـدائهـا وانسلّت» ، أو كـمـا قـيل : « إذا سـاء فـعل المرء سـاءت ظنونه... إلخ ، » كـيف سـيـردّ الشيخ إذًا ؟ إنهم سـيـجـدون ألفَ دليلٍ ، ودليل من كتابات الشـيخ ، ولكن الشيخ لن يجد دليلاً واحدا مـوثّقا سوى القصص التي يرويها هو !! (حوار : ٨٣).

(٢) قال العودة : « إنهم ـ إن وجد فيهم شيء من الجرأة على الأئمة فإنهم = =

سلمان العودة	محمد الغزالي
٥- وقد يتطور الأمر إلى الاجتهاد في أمور العقائد، بناءً على تصحيح حديث أو تضعيف أخر: وفهم بظاهر نصّ أو نحو ذلك ... وهنا يقع الخطر الكبير، حيث تتحوّل الفوضى إلى الأصول بعد الفروع. ص (١٢٢)	٥- «وقد تغيظت لأن بعض المنسوبين إلى العلم الديني حاول الاجتهاد، فذهب إلى دورات المياه ودور العبادة، يستعرض عضلاته العلمية هناك» [١]. (دستور الوحدة: ص١٣٤)
٦- ثم تجد هذا المحارب للتقليد النابز لأهله مقلّدًا من حيث لا يشعر لفلان وفلان من العلماء وطلاب العلم الذين يحسن الظن بهم، ويرى أنهم على	٦- « الصحوة الإسلامية المعاصرة مهدّدة من أعداء كثيرين والغريب أن أخطر خصومها نوع من الفكر الديني يلبس ثوب السلفية،

= قد وجدوا في شيوخ كبار قضوا عشرات السنين في ميدان الدعوة والخطابة والتدريس شتائم لفقهاء أعلام وأئمة عظام لا أظن أن أحدًا من «أهل الحديث» يستطيع أن يباريها، اللهم قد يوجد بينهم شواذّ لكن لماذا نأخذ هذه الشواذ ونعممها ونعتبرها وضعا غالبًا نصمُ به اتجاهًا بأكمله؟» (حوار :٨٤).

(١) قال العودة: « إننا نعتبرها مفخرة للإسلام أن ينظم حياة الإنسان في جميع ظروفه، ولم يحدّد الشيخ - بالضبط - سبب تغيظه؟ هل يترك الناس الحديث في هذه المسائل؟» (حوار :ص٨٢)

محمد الغزالي	سلمان العودة
وهو أبعد الناس عن السلف . إنها ادعاء السلفية وليست السلفية الصحيحة» [1]. (سرّ تأخر العرب : ص ٥٢)	الجادة وأنهم لا يخرجون عن الدليل الصحيح ولا يقولون إلا ببيّنةٍ ، أو تراه مقلّدًا لهم في تصحيح الأحاديث وتضعيفها وتوثيقِ الرجال وتوهينِهم، ومقلّدًا لهم في آرائهم الفقهية والاجتهادية التي يعذرون - هم - فيها لو أخطأوا لكنه - هو - لا يعذَر حين ينازع في تقليد الأئمة الأربعة وغيرهم ويقلّد من دونهم بمراحل .(ص١٢٢)
٧- «إن القاصرين من أهل الحديث يقعون على الأثر ولا يعرفون حقيقته ولا أبعاده ثم يشغبون به على الدين كله	٧- ويترتب على هذا وهذا : الاختلاف الواسع العريض والتفرق الممقوت المنافي للأخوة والجماعة . بسبب

(١) قال العودة : «شيء عجيب .. أيها الإخوة يعني أخطر على الإسلام من اليهود ؟ نعم . من النصارى؟ نعم . من الشيوعيين؟ نعم. من الحكام الظلمة؟ نعم. من القبوريين؟ نعم . من الصوفيّة؟ نعم. أخطر على الإسلام من كلّ ذلك ، الفكر الديني الذي يلبس ثوب السلفية!» (حوار ص٨٦).

محمد الغزالي	سلمان العودة
دون وعي ، وخذ . مثلا ما يقطع الصلاة فقد تشبّثوا بحديث...» [(١)].	تفاوت النظر والعلم وما ترتب عليه من اختلاف الرأي ، وهذا الاختلاف من سمات أهل البدع الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا.
(السنة النبوية ص ١٢٨)	(ص ١٢٢)
« إن العقول الكليلة لا تعرف إلا القضايا التافهة لها تهيج، وبها تنفعل ، وعليها تصالح وتخاصم...»	
(هموم ص ٣٢)	
٨ـ مشكلة أهل الحديث هؤلاء أنهم يفهمون الحديث على نحو ما ، ثم يجعلون فهمهم هو مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتطاولون بعد	٨ـ وقد تتحوّل العناية بسلامة المعتقد إلى رمي للآخرين بالضلال ، أو الكفر، أو النفاق ، أو الفسق ، أو البدعة ، بلا بيّنة ، مع ظنّ اختصاص النفس

(١) قال العودة : « ما يتعلّق بقوله : (إن القاصرين من « أهل الحديث»... إلخ) ذكر حديثًا واحدا ، وهو حديث : « إن الصلاة تقطعها المرأة والحمار والكلب الأسود» ـ وقال : « إن جمهور الفقهاء رفضت هذا الحديث». في الواقع هي ليست حديثًا واحدا بل عندنا عدة أحاديث ... فالمعنى وارد عن سبعة صحابة ... فما أدري هل يمكن أن يوصف هؤلاء بأنهم قاصرون؟ لا شك أن الجواب عند الجميع : لا » (حوار ١٣٤ ـ ١٢٥).

سلمان العودة	محمد الغزالي
بالكمال ، والسلامة مما وقع فيه الآخرون. (ص١٢٢)	ذلك على مخالفيهم وربما كفروهم واستباحوهم...»[1]. (مستقبل الإسلام :ص٧٢)
٩- وقد يتحول الحرص على السنّة وكراهية البدعة إلى إعراض عن منجزات العصر ومبتكراته النافعة ، وعزوف عن استخدامها والإفادة منها في نشر دعوة الإسلام ، وإلى تضخيم بعض الأعمال والمأثورات ، حتى تصبح	٩- قضايا صغيرة تتضخم في رؤوسهم وقضايا تستخفى ، وحماس في موضع البرود، وبرود في موضع الحماس، وأحاديث ضعيفة أو منكرة تصحح، وصحيحة تضعّف وتُرَدّ» [2].(هموم داعية:١٦١)

(١) هذا ليس من شيمة أهل الحديث الذين يتكيفون بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم أمرًا ونهيًا ، بل هذا من دأب أهل البدع والأهواء.

(٢) لعلّ الغزالي نسي أنه نفسه صحّح الضعاف وضعّف الصحاح ، ودافع عن هذا المنهج في «مقدمة فقه السيرة» . ولله في خلقه شئون.
قال الشيخ ربيع : هذا من باب«رمتني بدائها وانسلت» ؛ قضايا العقيدة والبدع ما كان رسول الله وأصحابه والسلف الصالح يتساهلون فيها ، ولا مكان لبرودة في قلوبهم نحوها ، وخصوم أهل التوحيد يبردون إلى ما تحت الصفر تجاه الشرك الأكبر والأصغر والنفاق والبدع. وقد ينشطون فيتحمسون جدًا في الدفاع عن هذا الباطل وأهله ، ويحبونهم ومن هذه النماذج الغزالي يصم كثيرًا من العقائد والسنن النبوية بالليونة ويضخّم أمورا قد لا تكون من الإسلام ، فإلى الله المشتكى! ».

محمد الغزالي	سلمان العودة
فبأيّ فكر يطلع علينا القرن الخامس عشر، وجمهورنا جاهل في فنون الجهاد وبارع في الحديث حول تحية المسجد، ووضع اليدين في الصلاة، مستغرق في قضايا جزئية...» [1]. (هموم داعية . ١٦٧)	كأنها من الأصول ، وإلى التهوين من شأن بعض الأصول المتفق عليها بين سائر الطوائف ، حتى كأنها من الفروع. (ص١٢٢-١٢٣)
١٠- «كأنما يختار الدعاة وفق مواصفات تعكر صفو الإسلام وتطيح بحاضره ومستقبله، ما أنكر أن هناك رجالاً في معادنهم نفاسةٌ وفي مسالكهم عقلٌ ونبلٌ بيد أن ندرتهم لا تحل أزمة الدعاة التي تشتدّ يوماً بعد يوم، والغريب أن الجهود مبذولة	١٠- وهذه الانحرافات وغيرها ، وإن كانت لا تعكر على الأصل عند العقلاء المنصفين فلا تمنع البحث والتحقيق العلمي ، ولا تمنع الاجتهاد وترك التقليد كليًا أو جزئيًا - بحسب ملكة المجتهد - ولا تمنع محاربة البدع ونشر السنن إلا أنها قد

(١) هكذا يستهزىء الغزالي بالعاملين بالحديث ويستفزهم ، وهكذا فهمه لدين الله وسياسة الدعوة . قال « وأعرضت عن أحاديث أخرى تُوْصَفُ بالصحّة لأنها - في فهمي لدين الله وسياسة الدعوة - لم تنسجم مع السياق العام...» (مقدمة فقه السيرة ص١٣)

سلمان العودة

تصبح - بدون وعي - مدرجة ضمن خصائص (الفرقة الناجية) عند هؤلاء القوم ، فإذا رأوا من ينكرها ، أو يعمل بخلافها أو ينتقدها ، أساؤوا به الظن، واعتقدوا أنه يحارب العلم والسنة، والحديث ،

(ص١٢٣)

١١- ومن أمثلة ذلك : أن الجوانب العبادية والسلوكية قد ترتبط أحيانًا في أذهان كثير من الناس بالاتجاهات

محمد الغزالي

لمطاردة الدعاة الصادقين من العلماء الأصلاء والفقهاء الحكماء وفي القضاء عليهم وترك المجال للبوم والغربان من الأميين والجهلة والسطحيين وراء ذلك مخطَّط استعماريّ مدروس بدهاء ؟[١]

(همومِ ص١٤٩)

١١- ... أليس مضحكًا أن يدخل داعية في مسجدٍ فينظر إلى المنبر ثم يقول : بدعة . لماذا ؟ لأنه من سبع درجات.

---

(١) قال العودة : « إذًا نستفيد مما سبق أن الشيخ الغزالي علم من مصادر رسميّة تتابع حركة هؤلاء الشباب أنهم تأتيهم الكتب من الخارج بسهولة ، وأن وراءهم مُخطط استعماريّ مدروس بدهاء ، وهذا يناقض ما ذكره من قبل بأنهم يحاولون الوشاية بالعلماء والإحاطة بهم، والقضية يمكن أن تكون هي العكس ، بالشباب المسلم وضرب الصحوة الإسلامية بكافة جوانبها وفئاتها بحجة أن وراءهم مخطط استعماري مدروس بدهاء ، وبحجة أن الكتب تأتيهم من الخارج ، والدليل على هذا ، ما يقوله الشيخ الغزالي». (حوار : ٨٥)

سلمان العودة

الصوفية أو المتأثرة بالصوفيّة، فتصبح العناية بها ، والاحتفال بشأنها ، والحديث عنها شيئًا غريبًا غير مألوف في بعض البيئات والتجمعات الأثريّة المحاربة للتصوف.

(ص١٢٤)

١٢- ومثل ذلك : العناية بالجوانب السياسيّة والتركيز عليها، والحرص على معرفة كيفية سير الأحداث، وارتباط بعضها ببعض ، وكشف ألاعيب طواغيت الدنيا ضد الشعوب ، وخاصةً الشعوب المسلمة ، والحديث عن الحكم بغير ما أنزل الله وموالاة أعداء الله... كل هذا قد يرتبط في أذهان كثير

محمد الغزالي

ويرى أن يقف على الثالثة لا يعدوها.

ثم يرى المحراب فيقول : أيضًا بدعة . ثم ينظر إلى الساعة ويقول : بدعة لماذا ؟ لأنها تدقّ كالجرس... »[1] .

(هموم ص ٣٤)

١٢- وأخيرًا يتكلّم فيخوض في موضوع غثٍّ، لا ينبّه غافلاً ولا يعلّم جاهلاً ، ولا يكيد عدوًا.

المهم عنده الاستمساك بالسنة... على الشكل الذي يراه ...»[2] .

(هموم ص٣٤)

---

(١) إلى آخر ما هنالك من التخريف.

(٢) نعم ! يعتزون بالاستمساك بالسنّة في كل صغير وكبير، لا على الشكل الذي يرونه بل على هدى النبي صلى الله عليه وسلم.

سلمان العودة

من الناس ببعض التجمّعات التي لا يعرف عنها العناية بالسنّة ، والاهتمام بتصحيح العقيدة، ومن ثم يصبح الحديث عنها غير مألوف ولا مقبول عند بعض من يهتمّون بالسنّة والعقيدة - لأنه صار شعارًا لأولئك وخاصيةً من خصائصهم.

(ص ١٢٤)

هذه هي بعض أقوال العودة والغزالي في «أهل الحديث والسنة» ، إلا أن العودة نشر هذه اللآلىء والدرر في أربع صفحات فقط من كتابه ، والغزالي بثّها في خمسة من كتبه[١].

وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضةً
على الناس من وقعِ الحسام المهنَّدِ

* * *

(١) كما هو ظاهر من الكتب المحال إليها.

الخاتمة

هذه هي بعض الملاحظات (حول كتاب «صفة الغرباء» لمؤلّفه الفاضل - حفظه الله -) التي سجّلتها ابتغاء الحق والصواب ، لأسباب تالية :

* قام المؤلّف بالتفريق بين الفرقة الناجية «والطائفة المنصورة» و«الغرباء» ، الذين ورد ذكرهم في الأحاديث الصحيحة[1]، مع أن ثقات أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين قالوا : هم أهل الحديث والسنة والأثر.

- قال الإمام أحمد : «إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم؟» [2] .

---

(١) كما جمعها المؤلف ودرسها دراسة وافية في كتابيه : «الغرباء الأولون» و «صفة الغرباء».

(٢) شرف أصحاب الحديث للخطيب (ص٢٧) ، « ومعرفة علوم الحديث» للحاكم (ص٢) و«فتح الباري» لابن حجر (٢٩٣/١٣) وعن هذه المصادر في «صفة الغرباء» (ص٢٠٧)

- وقال عبدان في تفسير حديث : « بدأ الإسلام غريبًا ... فطوبى للغرباء » «هم أصحاب الحديث الأوائل » [1] .

* غيّر المؤلّف الاصطلاح الثابت ابتغاء توسيع دائرة النجاة، فخسر من جانبين : فلا القوم سلكوا مسلك النجاة وابتعدوا عن نواقض الإسلام ، ولا هو حفظ كرامة اصطلاح الأئمة الأعلام - علمًا بأنه لم يقل أحد أبدًا : إن من كان على منهاج النبوة في العقائد والأحكام والمعاملات ولم يسمّ نفسه بأهل الحديث [2]، ليس من الطائفة المنصورة والفرقة الناجية والغرباء .

« غير أن الله أبى أن يكون الحق والعقيدة الصحيحة إلا مع أهل الحديث والآثار ... »[3].

---

(١) «شرف أصحاب الحديث» (٢٣ - ٢٤) .

(٢) ليس الإشكال في هذا ولا ذاك ، إنما الإشكال في أناس يكرهون أهل الحديث والسنة والأثر ، وإذا قيل لهم : هل أنت من أهل الحديث وأنصار السنة ؟. قالوا : نحن فلانيّون وعلانيّون ... إلخ يحبّون أن ينتسبوا إلى البلاد والزوايا والطرق ، ولا يحبّون أن ينتسبوا إلى الحديث والسنة والأثر . ولا حول ولا قوة إلا بالله !

(٣) قاله أبو القاسم الأصبهاني في كتابه « الحجة في بيان المحجة» وعنه في « علاقة الإثبات». (ص ٢١).

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني «أما الفرقة الناجية فهي أهل السنة والجماعة، وأهل السنة لا اسم لهم إلا اسمٌ واحد وهو «أصحاب الحديث»[1].

* لا يحتفي المؤلّف بذكر «أهل الحديث» بهذا الاسم المعروف على مدى القرون والأجيال، بل أوّل هذا اللفظ مرارًا إلى ما هو أعم منه.

وهجم على أهل الحديث والسلفيين المعاصرين من غير تفريق. «اللهم قد يوجد بينهم شواذ، لكن لماذا نأخذ هذه الشواذ ونعمّمها ونعتبرها وضعًا غالبًا نَصِمُ به اتّجاهًا بأكمله»[2].

لهذه الأسباب وغيرها قيّدتُ هذه الملاحظات دفاعًا عن أهل الحديث والسنة والأثر، عسى الله - عز وجل - أن يحشرني مع «الطائفة المنصورة الناجية الغريبة».

أحبّ الصالحين ولستُ منهم لعلّ اللهَ يرزقني صلاحًا

[ربنا افتحْ بيننا وبين قومِنا بالحقّ وأنت خيرُ الفاتحين]
(الأعراف: ٨٩)

---

(١) الغنية (ص ٨٠) وعنها في «علاقة الإثبات» (ص ٢٣).

(٢) قاله المؤلف نفسه في «حوار هادىء» ردًّا على الغزالي لوقيعته في أهل الحديث والسلفيين، ولكنه نسي نفسه عند هجومه عليهم».

[ربّنا اغْفِرْ لنا ولإخواننَا الّذين سَبَقُوْنا بالإيمان ولا تجعَلْ في قلوبنا غِــلاً للذيْنَ آمنُوا ربّنا إنّك رؤوُفٌ رَّحِــيْمٌ]
(الحشر: ١٠)

« اللهمَّ ربَّ جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ [**فاطرَ السماواتِ والأرضِ عالمَ الغيبِ والشهادةِ أنتَ تحكُم بينَ عبادكَ فِيمَا كانوا فيه يَخْتَلِفُوْنَ**] (الزمر : ٤٦) اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاءُ إلى صراطٍ مستقيم»

«سبحانك اللهم وبحمدِك أشهدُ أن لا إله إلاّ أنتَ استْغفِركَ وأتوبُ إليك».

وصلى اللهُ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِه وصحْبِه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

الراجي إلى عفو الله الصمد
صلاح الدين مقبول أحمد
غفر الله له ولوالديه
وإخوانه ومشايخه

نيودلهي :
١٤١٢/٥/١٦هـ
١٩٩١/١١/٢٤م

* * *

فهرس المحتويات